

قراءات العدد الماضي من «الرداء»

القصائد

بقلم محسن الخياط

لم تعد رشاشات الشعرات قادرة على ان تنفذ الى القلب ، وان تحيل آثار النكسة في الشعب العربي الى صمود واصرار ، وكان لا بد لانغام جديدة ان تنبعث من نايات الشعر .
ولسنا نغالي ان قلنا ان النكسة قد غيرت بشكل جذري مضمون النغمات ، وأنه قد اطل على العالم العربي وجه جديد للشعر ، ليس ذلك الوجه القديم الذي سقطت كل اقتعته فبدا غريب الملامح ، لا يحمل من القسائم العربية غير الالفاظ .

ويضم العدد الماضي من الاداب « يوليو ١٩٧٢ » بعضا من القصائد لشعراء من العراق ومصر وسوريا . وهي في مجموعها شاهد على ان الشعر العربي قد بدأ يتحرك خارجا من سراديب الضياع ، والتمزق والهروب ، واللامبالاة الى عالم الحقيقة بكل ما يكتنفه من ضباب ، وبكل ما في مذاقه من مرارة .. بدأ يستشعر ان وجوده ليس في عالم اللاوجود ، ولكن وجوده يتأكد بلامسته لارض الواقع الصلبة بالرغم من الزلازل التي تهددها . هكذا وقف شعر الارض المحتلة يواجه التحديات ، وقف على ارض المعركة يريق دمه الى جانب الفدائيين ، ويدفع عن نفسه شبح الضياع والتمزق بحبه للارض ، وصموده عليها ، وتضحته من اجلها .

ان وقع اقدام جديدة بدات تدب على الارض العربية ، وبدات تتجمع معها في الافق البعيد خيوط فجر جديد يحبل الشعر بشيرا باقتراب مولده .

وفي ما قدمه العدد الماضي من اشعار نجد ان شعراء القاهرة قد خصوا وطنهم بتجاربههم ، في حين خرج شعراء العراق بتجاربههم خارج حدود بلادهم ، أما شعراء سوريا فقد قلب على اشعارهم التعميم دون التخصيص كما في قصيدة « صباح الدين كويدي » . واشهد - من البداية - ان شعراء العراق قد احرزوا تفوقا ملموسا على غيرهم من شعراء ذلك العدد .
ولنبدا بشعراء القاهرة :

فالشاعر « محمد ابراهيم ابو سنة » يجد في الوصول الى فجر حبيبته مصر صعودا على درج الحب ، حتى وان كان حبه حلما حتى وان كان مستحيلا ، فهو عاشق مستهام ، يدرك ان سواها هو الوهم . ولهذا ، فانه لا يكف عن مناداتها بان « افيقي » .

لما زال يمكن الا تكوني طعاما وخبرا
وما زال يمكن الا تكوني وساما وفبرا
وما زال يمكن ان يتوقف هذا النزيف
ويبقى جمالك عصرا .. وعصرا

ان تجربة الشاعر تفتح بالحجب طريقا الى التضحية ، فحبه يورقه ان يراها نائمة في وحول الطريق ، ويود لو يجرح صدره ويلقي عليها بخيوط الدماء حتى تستفيق . لقد لخص الشعب تاريخ وطنه في لحظة حب ... في لحظة استشارة حبيبته ان تفيق ، وحرص في هذه اللحظة اللاشعورية ان يترك للحب مهمة نسج الوحدة العضوية لتجربته ، وتلوين مقاطعها بالصور الموحية التي تقوم دليلا على كسل مأساة يمينها دون ان تفصح عنها بالاسم ، ولعل ايعادات تلك الصور هي الشيء الجديد في اشعار « ابو سنة » الاخيرة .

ولكنه كان بإمكانه ان يضيف الى تجربته بعدا نفسيا آخر لو انه يستخدم ضمير المخاطب ، واستعاض عنه بضمير الغائب ، فقد اضفى عليها الاول زيا خطائيا ولو ان طبيعة بنائها الداخلي يوحى بغير ذلك . لقد اعدت قراءة القصيدة مرات بضمير الغائب ، فاكسبها

ذلك بعدا نفسيا جديدا فحلا همسها ، وترسب مضمونها في الاعماق اكثر من ذي قبل .

اما الشاعرة « ملك عبد العزيز » فقد مرت بقصيدتها « سقوط » عبر مرحلتين ، شاهدنا في الاولى مصرع الزيف حين هاجمه الصدق ، وسقوط المتخطين على جبال السيرك ، ولكنهم يسقطون منتصبين القامة ، مرفوعي الراس .

وشاهدنا في المرحلة الثانية قاماتهم وهي تطول في عالم الصدق العاري كالطفل براءة ونقاء في ساعة الميلاد .

لقد كشفت الشاعرة المرحلتين في مقاطع شعرية قصيرة حتى تصل الى مرماها باقصر الطرق . وفي سبيل ذلك ، تحت ادوات الشعر جانبيا ، وامسكت بالادوات الهندسية لترسم للفكار دائرة تدور فيها حتى يأتي اسلوب التناول ملأها للمنطق الهندسي للفكار ، لهذا جاءت طريقة التناول هندسية البناء وانعكاسا لما تطرحه من افكار .

فقد سقطنا فعلا من فوق الجبل المشدود وقوفا مرفوعي الراس في ٩ يونيو ٦٧ ، ولكننا ما زلنا مقصومي الظهر من أثر السقوط ، ما زلنا نجهد في تعرية الاستار حتى نتالق تحت الشمس في عرى الصدق . اللهم الا اذا كان ما ذهب اليه الشاعرة هو مجرد آمنيات واحلام مستقبلية تتمنى لو انها تتحقق .

ان الصدق يقودنا حتما الى الحقيقة ، والصدق الفني هو الوقود الذي يشتعل فيضيه للحقيقة الطريق ، وبغيره يكون العمل الفني قد مشى في الاسواق مرتديا ذات الاقنعة الحمراء الخضراء .
فاذا ما عرجنا على شعراء العراق ، فاننا نجد فيهم ذكاء فسي تناول التجربة ، فهم يبحثون عن انسب الاشكال التي تندمج عضويا مع المضمون ليصبح الاثنان لحمه البناء الفني وسداه .

فالشاعر .. « كاظم الحجاج » في قصيدته « كهف الرقيم » قد وفق كل التوفيق في الاستفادة من قصة اهل الكهف ، ولم يكنف بان يفسح من تلك القصة القديمة ظلا على الحدث المعاصر ، بل انه دفع بالقصة الى ميدان الحدث لينسج من الحكمتين « القديمة والجديدة » نسيجا واحدا متلاحما بالرغم من تباين الفايات من كل حكمة . فاهل كهف الرقيم قد ناموا لبضع مئات من السنين لحكمة ارادها الخالق . ولكن اهل كهفنا المعاصر قد ناموا .. لا رغبة في النوم ، ولا هربا من ضياع .. ولكنهم ناموا في انتظار الطيف الذي يوقظهم ... ياخذ نومهم ويمتحمهم سلاحا ، ولكن سادة القوم من ابناء عمومته لا يرجون لهم بقلعة من رفدتهم .

ويمر عشرون صيفا او تزيد ، وكلما حلموا ببناء عمومهم يرقصون .. يبعثوا رسولا ليعود باكيا ، فلم يزل رقص ابناء العمومة حلما ، واليقظة من رفدتهم هي الاخرى حلم . وان قصة يقظتهم في النهاية ليست رهينة بمشيئة احد ، انها مشيئة بسطاء الناس الذين اكرهوا على النوم .

أتينا على باب راع

فقصت لنا بنته شعرا وهي تبكي ،

خلوه .. فقد قصه قبل ألف .. حبيبي

وها قصه اليوم جند الاعادي .

ان استغلال كهف الرقيم كوعاء لقصة شعب تشرذ .. قصة شعب اناموه واستراحوا .. فيه كثير من ذكاء ، ليس هذا فحسب فسان الشاعر قد استفاد من روح القصص الديني وهو يعالج حدثا معاصرا ، واستخدم رموزا هي اقرب الى تلك الروح « كالات » التي لا تقصر ولا تنفع ، واللجوء الى « بيت الراعي » وهي اشارة ذكية لمعظم

- التتمة على الصفحة - ٩٠ -

بقلم فاروق منيب

بهذه الكمّية الهائلة من المראה والكمد والاحزان . ربما يبين لنا طريق جديد من بين ظلمات الرصاص وقصف المدافع اما ، والحالة كما ترى ، راكدة ركود المياه الاسنة ، والانفعالات تضطرم في الاعمال ، ثم تفور ، ثم ترتد الى الداخل ، فلا ننتظر من القصصيين ان يخرجوا من عنق الزجاجة ببساطة ، او في وقت سريع .

ومع هذا ، فلنأخذ بعض الملامح من قصص المدد الماضي من الاداب .

١ - نصف كوب من دموع التماسيح :

يعد صلاح عيسى أحد شبابنا الاصلاء المشتغلين بحركة التاريخ القومي المعاصر . فهو مجنون بتاريخ مصر ، لا تقابله الا وفي يده كتاب للتاريخ ، عاشق للزعيم احمد عرابي ، تتبع خطاه في كل مراحل حياته . انه يحلم وهو في قلب التاريخ . وقصته « نصف كوب من دموع التماسيح » هي صرخة صادقة وسط زيف الوافع الذي تميشه مجموعة من الشخصيات الصلبة . هناك الاخصائي الاجتماعي الذي رسا مظاهره على العمل في احد المستشفيات بعد ان فقد ثورته . وهناك التاجر الانتهازي الذي لا ينورع ان يكسب خمسة الاف جنيه دفعة واحدة دون اي مجهود سوى مكالمتين تلفونيتين يحسبهما من أصل المكسب ! . وعم مسعود الصيدي ، المسيحي الفقير المدقع ، الساكن في احشاء المدينة الغليظة ، وابنته ، الزهرة اللطيفة ، المريضة بالقلب . والطبيبة وداد صاحبة العقل البارد ، والصواطف المتجردة من الانسانية . كل ما يهمها ان تكمل بحثها لترسله الى المجلة الطبية الامريكية لنشره . الطفلة المسكينة في نظرها حالة ، ميتة ، فرحت ان التقطت لها فيلما قلبها قبل ان تموت بدقائق . وعم بدوي الذي يشير فينا ذكرى عبد المنعم رياض ، فهو يحدثنا عنه كاحد الاصدقاء ، اعطاه رياض سيجارة ، ما يزال يحتفظ بها الى الان . من خلانه نشر بقيمة البطل عبد المنعم رياض . يفتش عم بدوي في وجداننا جراح البطل الراحل . اذكر صوره التي انتشرت في الريف المصري ، في الحقول وفي حوانيت البقالة ، وفي البيوت المتواضعة المبنية باللبن الهش ، وفي « صالونات الحلاقة » الشعبية ، وقبل ذلك كله صورته التي تعيش في قلب الشعب المصري ! .

في هذا المناخ ، يعيش الاخصائي الاجتماعي بمقله وقلبه ، ممزقا ، حائرا ، يرى بعينه سيرك الشعارات الرفوعة ، ويشعر بقلبه ومواطنه الجياشة مهانة الرخصة الصغيرة الفقيرة ، يدخل في صراع غير متكافئ ، ردىه ، مع اعدائه ! مهمته في القصة ان يكتب تقريرا عن حالة البنت المريضة لتنتفع به الدكتور في بحثها . وهو على موعد مع اصدقائه ، لحظة عيد الميلاد المجيد . هناك حيث يعين الويسكي ، تبذل العواطف والمقول والنفوس . « الكأس الواحدة باربعين قرشا ، وبهتف عند السكر يسقوط الفكر ، ويتحدث عن العدل والحرية » . ترى اي هوة بين الشعار وتطبيقه يقع في فجوته هؤلاء المشفقون !؟ .

وفي النهاية يفقد الاخصائي الاجتماعي ، « طعم الويسكي غريب . خليط من الليزول والفورمالين » ! تقتحمه المناقضات الرديئة التي يعانيها . لا يستطيع البقاء وسط الزيف : « الوداع يا نهر الكوثر ... هذه قبعتي ... وهذه هي البايب .. مات الخواجا لان ابنته ماتت . اما هذه البصبة فلكن تسبح فيها التماسيح » .

هذه قصة نابضة بالحياة ، نعد من قصص الفكرة . الكاتب يلهث وراء فكرته ، راسا ارضيتها الواقعية التي تمج بالمناقضات ، محلا ومفسرا دروبها المختلفة .

وايضا هي قصة موقف ، لا يحب الكاتب ان يتركنا لنستنتج ما يريد ان يقوله . انه يصير بوضوح ان يقوله لنا . ولقد اصبحت شخصية التاجر الانتهازي ، والوطني الذي فقد وطنيته ، من الشخصيات التي ففرت على سطح مجتمعا ، وبالتالي اعلنت مسرح ادبنا . لقد - التهمة على الصفحة - ٩١ -

احب قبل ان اتحدث عن قصص المدد الماضي من الاداب ان اتناول ما وراء هذه القصص . فالواقع العربي اليوم يعج بالمناقضات الرهيبة . فهناك على طرف من اطرافه الجنود الذين يقفون على خطوط النار منذ خمس سنوات ، يأكلهم ملل الانتظار ، يتحفزون للخلاص من ذل الهزيمة والعار ، وايضا يقبع على هذا الطرف ابطال المقاومة الفلسطينية ، الذين يستشهدون كل يوم ، ولعل دماء غسان كنفاني لم تجف بعد ، ومن سوء الطالع ان يقتل على ارض عربية . وعلى الطرف الاخر نجد السعادة الابدية ، والرخاء الذي لا تحده حدود . ناس يمشون حياة القرون الوسطى بكل ما لهذه الحياة من ملامح . تخلف فطبع في الافكار والوجدان . ونعيم مقيم في المال . ناس يناصرون امتهم العداء وهم يلهجون بالشعارات المزيفة المستهلكة . وبين هذين النقيضين تتسع المسافة وتضيق المناقضات اخرى عديدة . علاقة الشعوب العربية بحكامها ، رفع الشعارات الكبيرة والفجوة التسي تحدث عند تطبيقها ، غياب المثل البسيطة الصادقة في حياتنا . الصراع بين الطبقات الشعبية صاحبة المصلحة في الثورة العربية وبين الطبقات الجديدة . البحث عن دليل جديد للعمل السياسي بعد ان فقد الدليل السابق دوره وأهميته (في مصر على سبيل المثال) . الاستفراق في مناقشة السياسة الدولية ، واستراتيجية الدول الكبرى ومدى تأثير هذه السياسة على قضيتنا ، ومحاولة تعلق مصيرنا على اكتاف هذه الاستراتيجية . النبض البارد الذي تمر به قضية العدوان في هذه الايام . المشاكل الداخلية لكل وطن عربي على حده . قلة الدخل الفردي ، والارتفاع الجنوني للأسعار . ضعف بعض الحكومات العربية وتخاذلها الى درجة مذهلة ، كموقف الحكومة اللبنانية من العدوان على جنوب البلاد . وحادث صغير ولكن له دلالة كبيرة . فقد نشرت الصحف ان لبنان قد سلم احد الاسرائيليين الذي وجد في الاراضي اللبنانية . يحدث هذا في الوقت الذي تخطف فيه اسرائيل الضباط الكبار السوريين .

هل هناك تخالل بعد ذلك ؟ ولا نريد ان نستمر في هذه المناقضات البشعة فنحن نعيشها بقلب جريح ، ونفس ممرورة وفعل لا يكاد يصدق ما يحدث ! .

واذن ماذا يستطيع الادباء والفنانون ان يفعلوا ؟! اليسوا يشرا يعانون وسط هذه الجموع ؟! انهم مبشرون ، ولكن الضغوط تطحنهم ، فما زالت الرقابة تفرض على افلامهم ، وما زال المناخ الديمقراطي مطلباً من أغز أمانهم . وما زالوا يعملون في أرض متخلفة ، تتنازعها العادات والتقاليد الفكرية البالية . وهؤلاء الادباء والفنانون يتفاوتون بين اليمين واليسار دون وضوح فكري يبين مسارهم . ومن الطريف ان يرفع اليمين شعار اليسار عند المد اليساري . وهكذا تختلط أرض الساحة ، اللهم الا بعض الاصوات القليلة التي تحافظ على استقلالها وطريقها الواضح (احمد بهاء الدين على سبيل المثال) .

هذه لمحة عن الواقع ، فماذا ننتظر من القصص ؟ لنأخذ اليها مباشرة . السمة الرئيسية لهذه القصص انها قصص تتحدث عن النكسة ، وعن بعض المناقضات التي اشرت اليها . فباستثناء قصة او قصتين تدور باقي القصص السبع حول واقع الهزيمة . كيف ينظر اصدقاؤنا القصصيون الى هذا الواقع ، ثم كيف يحاولون ان يعالجوه ؟ ما مدى الاحزان والقلق الذي يتحملونه نتيجة هذه الهزيمة ؟

وليتمهم يشاركون بالدفع والبندقية والدبابة في الدفاع عن شعوبهم ، في هذا الوقت سوف يتحلق عندنا ادب جديد ، لا يتسم

قراءات العدد الماضي من الاداب

القصص

تابع المنشور على الصفحة ١٥ -

أصحاب الرسائل السماوية الذين كانوا في الاصل رعاة .. والرعاة رمز البساطة والوداعة والامانة والشرف .

ولكي لا تنفصل قصة اهل الكهف الخالدة عن مثيلتها عندما صبت في قالب شعري ، فقد حرص الشاعر على اسلوب القص باستخدام موسيقى التفعيلات المتصلة ، وهي في ذلك القرب الموسيقى الشعرية الى القص . انه بحسه الشعري قد وفق في الفاء المسافات بين الشعر والقصة . فقد صارت القصة على يديه شعرا دون موسيقى صاخبة ، وتحول الشعر الى قصة دون ان يفقد الشعر شيئا من مقوماته .

والمستوى نفسه نراه في قصيدتي الشاعر عبدالكريم راضي جعفر ونشر القصيدتين معا تبرده الارضية المشتركة التي تجمع بين التجريبتين . فهما مستقلتان شكلا ، متكاملتان مضمونا . ولعل الشاعر قد اراد بذلك ان يوحد - في المأساة - بين ابناء الوطن الواحد ، فما يحدث في قطر عربي هو في حقيقته مأساة للوطن العربي كله . وقد جاء اسلوب التناول جديدا اصيلا ، فالبحث عن الماء هو محور التجريبتين فالراحل الى مدائن ماء الله في القصيدة الاولى تكلمة وجهه العروس في القصيدة الثانية وهي في انتظار حبيبها ليلة الزفاف حاملا « الماء في صوته زورقا » . ان روعة التجربة تكمن في المقابلة بين الظما في التجريبتين ، والتطابق في النهايتين . « فالراحل » يصنع له يدو القصر من دمه لياسة ، اما العروس ، فقد اعاد البدو اليها فارسها من عطرة بعد ان رسم الجنود السكارى وجهه بثقوب الرصاص ، وضرجوا كفه الحاملة خاتم العرس .

لقد اراد الشاعر للتجريبتين ان تكونا وجهين لمأساة واحدة يربط بينهما جسر اوله في الاردن وآخره في السودان ، فالاحداث بين هذا وذاك تختلف في الشكل وتلتقي في الهدف .

وقد اراد للتجريبتين ايضا ان يلتقيا في نهاية واحدة فيما يخص الراحل الى مدائن ماء الله ، والفارس والعروس :

يقول الراحل :

اني هناء - الليلة - كفى .. توسدت الصلحا وعروسي عنبرت الحبا .

اما خاتم العرس في يد الفارس المزرجة بالدم : قد صار فيروزه قبره .

ورفرت واختفت في لياب التي رشت الماء للمتعبين .

ان الشاعر يقف موقفا واضحا من الافكار التي يطرحها ، ويمكن من تناولها بالاسلوب الذي يستهدف تماطف الآخرين معها .. فإميل الى القص ، واستخدام « الماء .. والظما املا للمتعبين يلتقي التقاء موضوعيا مع المضمون .. فحصر الانسان على العطش بالذات موقوت ومحدود . لقد قدم الشاعر تجارب ناضجة هي من صميم الواقع العربي ... قدمها برؤيا أكثر نضجا واصالة .

وبانتقالنا عبر صفحات العدد ، فاجئنا قصيدة « الثلج » للشاعر الوصلي « عبدالوهاب اسماعيل » ، انه يهوى معاناة الانسان الذي لا تقهر ارادته تصورا حيا ، ويخلق من المعاناة خلودا لارادته . وهو يهدف الوصول الى ذلك - بطرق ابواب الابداع الفني بحثا عن ثوب جديد يضيفه الى التجربة فيقوي من عناصرها ويؤصلها ، ويستمد من الثلج مادة خصبة ليجسد ما اصاب مجتمعا من شلل ، وعندما يصعد بنا الى قمة الاختناق ، نجده وهو المنتصب تمثالا لتجريا يعطي الدفء .. يذيب بعض الجمود .. المهم ان يصبح هو - وقد صار تلاجع قطب الى شيء نافع شيء مفيد .. لا تنكره حتى الاسماك حينما يتحول في النهاية الى حصوة في قاع البحر . انه وهو « التمثال الثلجي » يعطي البهجة للاطفال حين يثرونه على الطرقات « وفي هذا اشارة لافتة

للنظر يستميرها الشاعر من ليلة عيد الميلاد ، حيث يقوم الاطفال في البلدان الباردة باقامة تمثال من الثلج « ليايا نويل » يتبركون به ، ثم يتقاذفونه قطعا في النهاية . وعندما يتحول جرحه الى تلاجع تهوي الى البحر .. تعطي الدفء للاسمالك ، لديدان الارض ، للدمعة كي تسقط على الاشجار فتتمو ...

ان الشاعر يقيم جسرا قويا من التفاهم بينه وبين الآخرين بنهائه على تكثيف التجربة في اتجاه واضح ، وجديد ، وغير مباح . لقد حولته الريح الثلجية الى تمثال من الثلج وبالرغم من ذلك فقد كان معطاء .. وهكذا الانسان - تخنقه كل الظروف - ولكنسه يظل اكثر عطاء .. او هكذا يجب ان يكون .

وأخر من نلتقي بهم من شعراء العراق هو الشاعر « محمد الحميدي » حين يلج باب « عكا » دخولا الى مأساة فلسطين ، فهو يبدأ بالبحث عن الطريق الى الذاكرة . هل يجد طريقه في ذلك السائح في ضباب المدن يحمل بين الحنايا دقة الشرق ؟ هل يجده في انهزام الصديق ؟ في الصلاة من اجل الناهين الجياع ؟ وهل ؟ وهل ؟ ومع كل ما يحوم بذهنه من احداث بعيدة وقريبة فهو يتساءل في النهاية :

كيف العبور الى الضفة الناطرة ؟

وكيف الولوج الى الذكريات ؟

وبمثل ما بدأ به الشاعر قصيدته ، انهاها بصوت شبيهة بتنفيمات كورالية تضي للصادية التي تأسر - مثله - حلم الماء .

فأي المواقف اتخذها الشاعر من افكاره ؟

لقد وقف موقفا محايدا منها ، والبسه اسلوبا محايدا في التناول يبدأ « بلو » وينتهي « بكيف » . ان موقف الشاعر من افكاره لم يصل به الى لحظة توتر ... لم يصل به الى حد الازمة النفسية التي تدفع الى معاناة اكثر ومن ثم استفراق كلي في التجربة .

لذا جاءت تجربته دون تجارب شعراء العراق عمقا واصالة .

ومن سوريا ، يقدم لنا الشاعر « صباح الدين كريني » لحظة قلقة ، لحظة تجمعت فيها كل ساعات الانتظار الذي نفذ صبره .. عبر عنها تلاحق الكلمات واندفاعها وتسابقها .. لقد هيا اسلوب التناول توتر اللحظة . ان كل الرافضين على جبهات القتال يعيشون لحظة التوتر هذه بكل ما فيها من ازمت ومشاعر متباينة . وتدفق كل ألوان الحركة من لحظة الصمت كان الاسلوب الذي أضفى على تجربة الشاعر الإيقاع النفسي المطلوب . ولكن تيار النهر التدفع موقظا الصمت ينساب في هدوء وعلوبة عندما يخرج الشاعر من معطفه صور الاسم الماضي ليمارح حبه ، ويتخذ الإيقاع من تلك اللحظة مسارا مختلفا .

والشاعر يطرح في قصيدته افكارا واقعية ، تنبع من واقع يشاركه فيه كل الذين يعيشون معه قلق اللحظة . انه يحلم احلاما ذات معنى ... احلاما ليست من صنع خياله .. انها من صنع الواقع الذي يعيشه كل يوم .

ولا شك ان الشاعر قد تمكن ببساطة الكلمات وعمقها ان يحدث تفاعلا ما بين الفكر والاسلوب ، هذا بالرغم من الحاحه على القواهي الذي خفف من عبثها تلاحق الصور والانسجام الكلي لبناء الفني .

ويبقى امامنا من مجموعة الشعراء بعد ذلك الشاعر « فؤاد الخشن » حيث يقدم لنا لوحة شعرية تحمل في مظهرها رومانسية شبيهة برومانسية « علي محمود طه » ، وفي جوهرها افكارا تقدمية . لقد حاول - من وجهة نظره - ان يغير رومانسية عصره فبدل ان تتغنى بسحر الشرق وجمال الطبيعة ، يمكنها ان تغنى بترتبه « الهابة الوردية الثقوب » ، فثمة رياح جديدة تهب على بيدل الشرق لتنهز قديم الصور ، وتحيل مرايا الفبا الى مرايا شفافه يرى الشرق فيها نفسه ، ولكن هذه المحاولة غير المقصودة قد أحدثت تخلخلا بين اسلوبه في معالجة التجربة وبين التجربة نفسها ، فقد كانت التجربة في حاجة الى اسلوب مقابر لذلك الاسلوب الذي ترغف عليه روح التقليدية . ولعل استهلال القصيدة ب « يا ذاها » و « يا من أضاع عمره .. » يشير الى ذلك ويكشف ترهل الشكل الفني ، ثم ان حرص الشاعر

على تأكيد القوافي بين الحين والآخر يقف برهانا آخر . ومع ذلك ، فإن بعضا من نجوم متالفة تومض في منعطفات التجربة وتفصح عن امكانيات شعرية خالصة لم يستند بها الشاعر على طول التجربة .

وانظر الى خنادق ... كأنها الدروب
معابر التحول المضيء ... والسفر
او غابة اشجارها الرماح
وزهرها محاجر البنادق
تطل من تربتها الهابة الوردية الثقوب
براعم لشجر الدراق تستحيل ،
أزهارها قلوب .

ان الحرص على الافكار وحدها لا يكفي ، والحرص على اسلوب التناول وحده لا يكفي .. فالشعر ماهو الا تفاعل حي بين الاثنين تذكيره معاناة حقيقية ، والتجربة الشعرية المكتملة النضج هي في حقيقتها نتاج لهذا التفاعل .

محسن الخطاط

القاهرة

القصائد

تابع المنشور على الصفحة - ١٦

عالم استاذنا نجيب محفوظ هذه الشخصيات . ولا جدال في ان صلاح عيسى قد تأثر بروح نجيب محفوظ . وان يكن له تفرده وتجاربته التفردة ، خاصة اذا ما عرفنا ان صلاح عيسى عمل اخصائيا اجتماعيا في بدء حياته العملية .

والقصة لا تعطينا المضمون الاجتماعي او الموقف الواضح فحسب ، وانما تعطينا خبرة بالحياة ، وتنقية للتجربة الواقعية التي يعرفها علينا الكاتب . فان يكن قد غمس قلمه في لحم الواقع وعظامه ، فهو لا يعدم شفافية الخيال والحلم الراق . فتحية لك يا صلاح ، ومزيديا من المواقف التي تدل على الظاهر والباطن معا !

٢ - الرهان :

هذه قصة تجريدية ، تعتمد على مجموعة من الرموز ، تعد من قصص الفكرة السياسية . اختار حيدر حيدر ثلاثة اشخاص ، احدهم فلسطيني ، والثاني سوري ، والثالث مصري .

وفي جلسة دردشة في مدينة غربة عليهم ، يستنطقهم بمجموعة من الافكار . فالسوري يساري متطرف ، يؤمن بافكاره بطريقة آتية ، يحفظ عن ظهر قلب . اما الفلسطيني فيكاد العث ان يأخذ بخناقهم كما يقولون . فهو عيشي الافكار . « اسمع ، أنا لم اقل ما فهمت انت ، وانت لم ترد على ما قلته أنا . وأنا لا اريد ان اوضح ماتعرفه ، وأنا وانت تعرف ولا تعرف شيئا على ما يبدو » .

وهو يخمن بان الحياة على الارض ربما تصبح خرافة ، ومن هنا يصح التاريخ سخرية وكذلك الانسان !

اما المصري ، فهو محايد بارد ، صاحب نكتة في اشد حالات النقاش ضراوة ، يقترح الرهان كحل لخاتمة النقاش ، ولعرفة قيام الحرب بين العرب واسرائيل للمرة الرابعة ام لا ؟ !

غير ان الكاتب ينتقل بنا الى مستوى آخر للتعبير ، فتحت عنوان مقطع من القصة بسمه « الذئاب » يصور لنا فتاتين سائحتين افتصبهما رجلان ، احدهما قضى معظم حياته في الفنادق ، والاخر مجهول الصفات . فهل هما الفلسطيني والسوري ؟ ! ، مرة اخرى في ثياب جديدة ؟ .

ومن هما الفتاتان السائحتان ؟ ! . ويحدثنا حيدر حيدر في فقرة نالقة من القصة عن الحرب . وهذه الحرب هي حرب عيشية ، فعندما يسأل الشرطي زميله .

- أنتعتقد ان في الامر جريمة ؟

قال الآخر :

- لا بد انها حكاية مراهقين حدثت وتحدث دائما .

- ولكن لا بد من تحرير ضبط بالحداد !

- ضبط غامض ، ككل الضبوط الاخرى . حرر .

هل يريد الكاتب ان يقول لنا ، ان الحرب الرابعة بين العرب

واسرائيل لن تخرج عن دور المهازل السابقة ، او الحروب السابقة ، طالما ان النقاش الدائر على الساحة العربية يمثل هذا الفتور والضياع بين المصري والسوري والفلسطيني .

ذلك مجرد استنتاج ، ربما اكون مخطئا فيه . ان قصة حيدر حيدر تدل على الواقع المفتت الذي تعيشه امتنا العربية في هذه الايام . وربما جاء ذكر سرفانتس في قصته ، ليدل على البحث عن بطل جديد .

يقول نزيل الفنادق على نحو مباغت للشخص الآخر :

- بماذا تفكر ؟

- برجل اسمه سرفانتس .

وعلى كل حال ، فهذا لون من القصص ، لا يعطينا كلمته او فنيته بسهولة ، فهو يحتاج منا الى مجهود . وكلما بذلنا معه الجهد ، اعطانا اعماقه !

٢ - الليلة نمشي بين الماء والرمل :

هذا الكاتب يبحث عن المثل الاعلى الذي يجب ان يتمسك به . انه يتمثله في عالم الطفولة النقي الشفاف . يبدأ قصته بسدء يقول فيه « يارب ، اجعل لابنك الطفل ، الان وغدا ، وفي سن الكبر وارذل العمل ، مركبة طويلة ، وبغضى قدرتك ، لا تفسح في ذاكرته مكانا لغير الماء . يارب الابد ، يارب كل عدم » .

فهل تحقق مثل الكاتب ؟ . في اسلوب هو اقرب الى الشعر منه الى النثر ، تخيب آماله واحدة بعد الاخرى ! . ان الماء هنا رمز النضارة والحياة ... « وجعلنا من الماء كل شيء حي » . ولكن هذا الماضي الذي يستعيده بطل قصة محمود الرماوي ، لا يلبث ان يفلت من بين يديه .

وها هو يقف عاريا امام نفسه . اصبح الطفل شائخا في طفولته . اما الصبي ، فاته الآخر « ناحلا خائفا ملتعا ، ثمة من اصاعه في الطريق ! » .

وفي أثناء لقاء الصبي بالطفل بالرجل تكتمل حلقات العمر . « الطفل ينام في حضني ، كان قد ذهب بعيدا في قرارة النوم ، وبدا وجهه يشف عن مسرة غامضة ! »

لقد كانت حياة البطل حياة وحيدة ، معذبة ، باكية !

انه ما زال يفتش عن ابويه لانه فقدتهما وهو صغير ، لا يكاد يتخيل ملامحهما .

وفي النهاية تفشل رحلة الطفل ، فيعود مسرعا الى الوراء . وهنا يكمن عذاب بطل محمود الرماوي ، فها هو يترك النهر وراء ظهره ، فيجف ماء الحياة في دمائه . ولم يبق له سوى الدعاء يختم به ضيقه ، ولكن اي دعاء يصلح لهذه الحالة ، هو يدعو : « يا ايها الرب العظيم ، ما دام لا ماء ولا طوفان هناك ، لا فيض ولا فرق هناك ، فاجعلها رملا خالسا ، وبفامر قدرتك ، لا تفسح في ذاكرتي مكانا لغير الرمل .

والرمل هنا في رمز الكاتب دليل المدم والضياع .

وبالها من حياة تلك التي يحاول فيها الانسان ان يظل على علاقة بالماء ، فاذا الرمل يسد كل آمله !

انها قصة ذاتية ، يمتص الكاتب رحيق وجوده في صياغتها ، بدرجة كبيرة من الصدق ، يناضل حتى يحتفظ لمعنى لوجوده الانساني . ولكن هذا الوجود النبيل يتعرض للضياع . لماذا ، وكيف ؟ ! لا يقدم لنا الكاتب شيئا من هذا . ونحن لا نطالبه بان يقدم شيئا .

فهل يستطيع الانسان ان يستعيد وجوده ؟ !

ان اليوم الذي يمر لا يعود ، كما نقول في امثالنا العامة ؟ ! . ويا عزيزي محمود علينا ان نروض انفسنا لتقبل الحياة بكل ابعادها ، كما ان الحياة تروضنا كما تريد . وقد فعلت في قصتك شيئا من هذا القبيل ، فقد اخذت نفسا عميقا من الماضي ، ولكنك احترق كالديخان وسط لهيب الحاضر وقسوته . فعزائي انك عبرت عن نفسك ، وعن حالة انسانية ربما عاشها غيرك ، ولكنها تنوه في خضم نهر الحياة اليومية العابرة !

٤ - حالة حب :

اما قصة « حالة حب » لرشاد ابو شاور ، فهي مكتوبة بدعوه

ودمه ! أشبه بقصيدة في تركيزها ودلالاتها المكثفة وأسلوبها . ولم لا ... وهي تحتضن بعض أبيات شعر أحمد دحبور ، وخالد أبو خالد ، بين جوانحها . من يحب عبدالله بطل القصة ؟! انه يحب فتاة من دمشق ، ثم هو يحب فتاة من الاسماعيلية .

يتزوج ، يستيقظ أطفال بحر البقر وعمال « ابو زعل » ليؤفوه الى عروسه . انه الفلسطيني . لا يتصور احدكم هو قادر على العطاء والحب والمودة واحياء الامل !. رغم الاضطهاد ، فلديه طاقة على تفجير الحب لا تنفد . ورغم الضياع ، فهو قادر ان يلم اطراف الامل المبعثر . يملأ يده بغصب الطبيعة . وتنثني روحه بالاغاني الشعبية الفلسطينية :
روحنا عالقواعد روحنا لوحنا بالبنادق لوحنا

لقد مضى العصر الذي ننظر الى مثل هذا العمل ، فنقول: هل يحمل ملامح القصة القصيرة ، أم لا ؟! انه حالة حب فاسر « فيه من القصة حدوة « رباح » الذي استشهد ، وفيه من الشعر فيض الحب الذي يسبح فيه البطل الفلسطيني عبدالله . وهو بطل محارب ، لانه يحب الناس والعنيا جميعا .

ان القصة القصيرة تتحول اليوم على أيدي شباننا الى قصائد شعر . وهذا نصر للقصة القصيرة عظيم !.

٥ - الحصان :

لعل ثراء الارض التي اقيمت عليها هذه القصة هو اهم شيء فيها . فهنا تدخل عناصر ثلاثة في تكوينها الداخلي ، الانسان والحيوان والطبيعة . ولكل واحد من هذه العناصر وظيفة في القصة . لم يقصد الكاتب طبعاً الى قصة ميكانيكية ، وانما هذا النقص الذي نستشعره هو الذي يعطي للقصة حرارتها وحيويتها في الوقت نفسه !. فهناك الحصان المجوز الذي فقد مكاسبه ، وكان بطلا قديماً في السباق ، وهناك صاحبه الذي يسلم فيه عن طيب خاطر . اما الطفلة الصغيرة - حفيدة المجوز صاحب الحصان - فهي مهمومة به ، قلقة من اجله ! على ان القصة ليست في هذا الظاهر الذي نراه ، انما يغيب الي ان بعدها الرمزي هو الاهم من بعدها الواقعي . فنحن نعرف قيمة الحصان أو الفرس في ادبنا العربي القديم ، وخاصة في الشعر . وايضا ، فهذا الحصان قد وقف عند باب الحديقة ، ولم يدخلها وقف ينظر الى شجيرات البرتقال . وقد عودنا الكتاب الفلسطينيون ان يرمزوا بأشجار البرتقال لارضهم السليبية .

فهل هي القوة العربية شيوخ ، لا يستطيع احد ان ينقلدها ، متمثلة في هذا الحصان ؟! على كل حال لست من هواة حل الالغاز ، او حتى الرموز الادبية . ويكفي هذه القصة هذا المناخ الانساني الذي اشاعته في نفوسنا . والدقة البليغة المكتوبة بها . فصاحبها مهدي عيسى الصقر يتميز بقدرة فائقة على رسم اللوحات الانسانية والطبيعية جيداً لو استغل قدرته تلك في عمل طويل يطالما به .

والعبرة في النهاية بالمضمون الانساني الذي يريده القاص . وقد وصلنا هذا المضمون من خلال البعد الظاهري البسيط للقصة !.

٦ - نهاية فير طبيعية لمسرحية « اغنية على المر » :

عادل ابو شنب من كتابنا التقديميين كنا نقرا له منذ الخمسينات بمجلة الثقافة الوطنية . وقصته هذه محاولة لاعادة النبض الى مسرحية صديقنا علي سالم لنفكر جيداً في قيمتها ، وماذا فعلت بها الايام . هل حقاً كما يقول عادل انها احدثت ثورة في المائة مليون عربي ، او هل اسقطت النظم المتخلفة ، اما انها كانت طلقة للتحذير ، ثم انتهت؟! يختار الكاتب احدى شخصيات المسرحية ، الحامل لسر اللحن الذي ألفه احد أبطالها ، ويدل ان يموت - كما فعل المؤلف معه - احياء من جديد ليتحدث الينا ويمضي على قدميه ، ويصطدم مع الاضداد !. هو يذهب الى الاذاعة وهو في شدة الفرح ليذيع سر اللحن الذي اعطاه له البطل الشهيد . فماذا يواجهه ؟. خيبة امل وسوء طالع .

ولحن يرتدي قميصاً احمر - مشغول الى شوشته - في امور لا تمت الى معركتنا بصله . يتورط البطل حامل اللحن ، وتظلم الدنيا فسي عينيه (كما يقول الكتاب التقليديون) . وينتهي الفصل الاول من الحكاية ، دون ان يتدخل مؤلف المسرحية او مؤلف القصة في حياة البطل بعد خمس سنوات من الهزيمة .

انها قصة كما نرى مبررة الطابع ، تجعلنا نفكر في الاحداث التي مرت بنا ، وماذا فعلنا تجاهها ؟!

وهي قصة حزينة حزن الهزيمة نفسها ، طعمها طعم العلقم ، فماذا يفيد اللحن الصادق وسط نهر الزيف والعفونة الساخنة . ماذا تفيد الاصوات القليلة وسط ضجيج سوق المفاربات الفشة السخيفة؟!.

ان عادل ابو شنب يرمي بقفاذه في وجوهنا ، اننا نخون رسالة ولحن شهدائنا ، وعلينا اذا كنا جادين وصادقين ان نواصل مسيرتهم ، بالعمل ، لا بالشعارات ، بتوحيد الايقاع ، لا بالتشتت والضياع ، بالاصالة والمعاناة ، لا بالسطحية والاستخفاف !. وليست هذه نصائح يطرحها علينا الكاتب ، انما هي عصارة ورقيق قصته العميقة . وليس هذا بغريب عليه ، فقللم صاحب تاريخ ، لا بد وان يحترم تاريخه ، يواصل مسيرته الى النهاية .

٧ - حزيران رقم ٣٢٢٢١... الخ

اما القصة الاخيرة في رحلة اصدقائي كتاب قصص الاداب ، فهي لنيروز مالك . تذكرتني هذه القصة بكلمة قالها صديقي الدكتور يوسف ادريس بعد الهزيمة ، هو اننا لا ينبغي ان نقرب زوجاتنا حتى نزيل آثارها . ولسنا في صدد الحكم على هذا الندم المكثف الذي انتابنا بعد الهزيمة . ولكن قصة نيروز مالك فيها عروق من كلام يوسف ادريس ، بل هي تجسده اشد تجسيد . فالبطل فيها عاجز جنسياً ، والمناخ الذي يعوطه هو مناخ الزجاج المصبوغ باللون الازرق ، اي مناخ العرب . وشموس حزيران في رحلة الذهاب والاياب تحفر رقماً بعد رقم في وجوه الرجال والارض والتاريخ !

وهذه الامة العذبة برجالها ، ماذا تستطيع ان تفعل حتى تحفرهم للدفاع عنها ، والاخلاص لها ؟!

ان الكاتب يختار لحظة الجنس ، يرمز بها الى تدفق الحياة والخصب والتماء - فاذا وقعت هذه اللحظة في برائن الاحباط المستديم ، فمن ينقلدها ؟! ولننظر الى هذه اللوحة التي رسمها نيروز مالك لبطله لثرى هذا الخليط المقلب الذي يعيش فيه « كان الصخب يصم اذنيه ، والجنس يعذبه ، والمجز يقتله ، وحزيران يسوح في شوارع المدن يصبغ زجاج بيوتها باللون الازرق القاتم ، ويداعب الافخاذ العارية ، ويتسلل ضاحكا الى الصدر ليداعب النهود المقتولة بالرفة ، ويختلج تحت الاباط الحليقة الناعمة ، ويمر على الخنادق المحفورة في اللحم والارض والتاريخ ! »

انه بكل محط غاية الاحباط ، عاجز غاية العجز . وهذه هي رؤية الكاتب ، تكون متمسكين لو طالبناه ببطل ايجابي !. ليست هذه اللوحة المشتتة هي صورة من التناقضات التي ألحقت البهائي بداية تقديمي لهذه القصص ؟

ولكن هذه السلبية الظلمة التي تحوط البطل ليست سلبية وحده ، وانما هي سلبية عامة تغطي رقعة واسعة من الساحة .

واذا كان نيروز مالك يشير ويرمز في شفافيه ، فلكي نسدرك عمق الهوة التي نتردى فيها .

وتلك احدى مهام الكاتب في ايامنا ، ان يبصرنا بالواقع الذي نعيشه ، يحزننا لتجاوزه .

وتعياتي لاصدقائي كتاب قصص العدد الماضي من الاداب .

فاروق منيب

حلوان